النهم من الطعام يزيد في قوة شهوته اياه بخلاف ما اذا دفع من بين يديه فانه لا يجد ما يشتغل فيياس منه فكذلك النفس اذا حيل بينها وبين المعاصي تياس منها وتعود الى الطاعة اذا لم يتبع منه واما اذا شبع فقد اخذ حاجته منه واجيب بما حاصله ان العرب تقول تطعم تطعم اي ذق تاكل والمعدة ابدا تنفتح لما يلقي فيها من الطعام الا لمانع وقوتها العادية لا تزال وان امتلات لا سيما معدة النهم ومثال هذا ما ذكره بقوله والنفس وهي الروح او الدم او الجسد كله كالطفل المولود ان تهمله اي تتركه شب اي كبر على حب الرضاع لانه قد الفه وان تفطمه عنه ينفطم ولم يبطر طالبا له بوجه من الوجوه وقد كان قبل ذلك يبكي فلا يسكت حتي يرضع فلما فطم يئس منه فكذلك النفس انما تنفطم عن مالوفها برادع قوي او لطف الهي وسيل بعضهم عن الاسلام فقال ذبح النفس بسيف المجاهدة وروي المخالفة ولما شبه النفس بالطفل وكان الطفل لا يومر ولا ينهي لانه لا يفهم ذلك وانما فهمه فلا يمتثل وانما الشان في ازاحته عنه انه لا يمكن منه امر هنا بصرف الهوي عن النفس حتي لا تجده فتتعلق به فقال فاصرف هواها قبل تمكن سلطانه وبادره حال ضعفه على حسب الطاقة ولم يقل فاصرف النفس عن هواها لانها لا تفهم هذا المعني او تفهمه ولا تمتثله كالطفل وحاذر اي واحذر وتحذر من ان توليه اي تامره من الامارة التي هي الولاية ويروى توليه من الموالاة ان الهوى ما تولى يصم بضم الياء من اصميت الصيد اذا رميته فقتلته او يصم بفتح الياء اي يعيبه من وصمه يصمه وصما اذا عابه والوصم العيب والعار وانما عبر بحاذر دون احذر تنبيها على ان النفس تراقب غفلة صاحبها عنها لتتوقع في هواها وهي تحاذره كما يحاذرها وفي قوله فاصرف هواها الى اخر البيت استعارة بالكناية فانه شبه النفس فيه بطالب الامارة وحذفه واثبت من لوازمه الامر بصرفه عن التولية

وانه



وانه جائر ظالم لانه ان تولى قتل او عاب ففي ترشيحية لانها قرنت بما يلائم المستعار منه وظاهر كلامه ان النفس تصرف عن كل ما تهواه حتي الطاعة ان هوتها لكن اذا ال هو لا اشكال فقوله وراعها اي ولاحظها وهي في الاعمال الصالحة سائمة اي راعية ولما كان للنفس حظ في اعمال بعض العبادات كان ربما يلحقها الرياء ويجد الانسان من اجل فعلها فهو يراها لذلك وهذا القصد قد يخفى على صاحبها نبه على ذلك بقوله وان هي استحلت المرعي اي وجدته حلوا فانهمكت او همت بالعكوف عليه فلا تسم اي فلا تخرجها الى ذلك المرعي حتي تتفقد وتسايرها لان النفس البشرية الا من رحم الله لا تهوى الطاعة من حيث هي طاعة فاذا استحلتها ومالت اليها امكن ذلك ان يكون لغرض لها في ذلك فيعود هواها كالمكروه المامور بصرفها عنها وتنقلب الطاعة معصية ثم استشهد على هذا المعني بقوله كم حسنت اي كثيرا ما زينت النفس لذة للمرء قاتلة له من حيث لم يدر اي لم يعلم ان السم بفتح السين وضمها دس له في الدسم فاكله ولم يتفقد باطنه مما دس لغفلته وخص الدسم لانه يعلو الاشيا فيستر ما تحتها كصورة العبادة الساترة لما بطن من النية الخبيثة او لان الدسم لسهولة امتزاج السم به يخفى الا على المتفقد اللبيب كخفاء النيات في العبادات واخش الدسائس اي اخش ما تخبيه النفس من المكر حال تلبسها بتقليل العبادة وكثيرها وكني عن قليلها بقوله من جوع وعن كثيرها بقوله ومن شبع كانه من باب تسمية الشي بما يؤول اليه لان قلة العبادة تؤول الى الجوع في الاخرة بالنسبة الى شبعها وكثيرها يودي الى شبعها ومنه قوله تعالي اني اراني اعصر خمرا فسمي العنب خمرا فرب مخمصة اي مجاعة شر من التخم جمع تخمة قيل فساد الطعام في المعدة والصواب فساد المعدة بالطعام وفسرت ايضا بانها ضد المخمصة ولا يصح فان الشبع ضدها وان لم يتخم واصل التخمة وخمة فابدلت الواو تا بمعني ان النفس قد تزين لصاحبها قليل العبادة بان تقول له الاكثار منها ربما يودي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)